نيقولا ميكيا فيللي (1469_ 1527)

تمهيد:

إن لميكيافيللي تأثير واسع في الفكر الفلسفي الغربي المعاصر، خاصة في المجال السياسي بل وحتى في ميدان التاريخ والأدب، مبادئ الحرب، الدبلوماسية، ولهذا قيل عنه لم يعتبر نفسه فيلسوفا أو ما إلى ذلك ورفض التحقيق والتحرير الفلسفي، حتى طريقة كتابته ومنهجيته في الأفكار لم تبدوا واضحة هو يميل كل الميل لاستخدام التجربة أكثر من التحليل المنطقي، لكنه رغم ذلك هناك من اعتبره من كبار الفلاسفة السياسيين لقد وجد المنشغلين بالفكر والفلسفة أنفسهم فيما بعد مضطرين للعمل والأخذ بأفكاره حتى ولوكان هو مفكر يكتب على هامش الفلسفة، كان يدرج في الفكر تحت تسميات عديدة أهمها: الميكيافيلية، مكيا فيليا عندما يتم وصف شخص وهكذا له صدى واسع بين الفلاسفة المهتمين بالأخلاق والسياسة.

1_ حياته:

لم يكتب الا القليل من سيرة أو حياة مكيافيللي مقارنة مع الشخصيات التي تبدو بارزة في عصر النهضة الأوربية

ولد ميكيافيللي في 3 ماي 1469 في فلورنسا تلقى في سن مبكرة تعليما على يد المدرس اللاتيني بولو دا رونسيغليون ويعرف بالتعليم الإنساني أو الإنسانية (النزعة الإنسانية هذه الحركة كانت مزدهرة في عصر النهضة)، عين كمستشار ثان لجمهورية فلورنسا 1497 وبعد أربعة عشرة عام انخرط مكيافيللي في النشاط الدبلوماسي في فلورنسا زار العديد من المراكز السياسية في إيطالية والمؤسسات وحتى في فرنسا، كانت فطنته أدت به إلى تحليل الشخصيات والمؤسسات تحليلا دقيقا.

فلورنسا كانت لخاضعة لحكومة جمهورية 1494 في هذه الفترة بدأ ميكيافيللي يبرز تحت رعاية الأمير بيرو سودريني تولى منصب مدير الأعلى للحكومة فلورنسا منصب رفيع في الحكومات الإيطالية خاصة في عصر النهضة عندما سقطت اسرة ال ميدتشي التي كانت تحكم كما يقال راح ميكيافيللي ضحية هذا الانهزام وتغير النظام حيث انتصرت القوات البابوية المسلحة للجمهورية أنذاك اعادوا تشكيل الحكومة، هنا خضع ميكيافيللي لشكل من أشكال النفي الداخلي اتهم بالتآمر ضد آل ميدتشي سنة 1513 سجن وعذب وفيما بعد يقال تقاعد عن العمل في فلورنسا في هذه الفترة تم الانتقال إلى النشاط الأدبي. توفي عام 1527

2_ مؤلفاته:

_ كتب أول كتاب تحت عنوان: " الأمير" في نهاية 1513 ولكن نشر رسميا في عام 1533 وهو كتاب أراد أن يبين كل القضايا والشؤون السياسية لفلورنسا

_ كتب في الشعر والمسرحيات والنثر والقصص، وكان له كتاب بعنوان فن الحرب سنة 1521

_ كتاب المقالات عن الكتب العشرة الأولى لتيتوس ليفي" عبارة عن مساهمة في الأفكار السياسية.

_ كتاب كليمانت السابع عبارة عن كتاب يتناول تاريخ فلورنسا 1525

3_ النسق الفكري:

أ_ إشكالية السلطة:

كان فيما سبق نؤمن بفكرة مفادها أن الحاكم لا يستطيع فرض قوته السياسية، إلا إذا كان شخصية تتمتع بالفضيلة من الناحية الأخلاقية، وأن الحاكم المتميز هو الذي يقدم الخير، وهكذا يحقق الحاكم النجاح في مشروعه السياسي في قيادة العامة من الناس.

إن ميكيافيللي ينتقد بالتفصيل البعد الأخلاقي للسلطة خاصة في كتابه "الأمير" وفي نظر مكيافللي لا يمكن التفرقة بين ما هو ممارسة شرعية وغير شرعية للقوة على أساس أخلاقي، السلطة والقوة متطابقان بمعنى من يمتلك القوة له الحق في القيادة ومن لا يمتلك القوة يفشل في ذلك، وأن الشخص الفاضل ليس متميزا كونه يقدم خيرا يقول مكيافللي:" إن الهدف الوحيد للحاكم السياسي هو اكتساب القوة والحفاظ عليها". هذا يعني أنه ينتقد مفهوم السلطة بمعنى أن الحق الشرعي لا يتحكم في الامتلاك الفعلي للقوة.

كما أن الخير والحق ليس كافيين في للاحتفاظ بالمنصب الذي أنت فيه على سبيل المثال بالنسبة لميكيافيللي القوة هي التي تحدد النشاط السياسي ومن الضروري أن يعرف الحاكم كيف يستخدمها، يؤكد مكيافيللي أن القوانين والأسلحة الجديدة هي من يشكل الأساس الحقيقي للنظام السياسي المحكم والمنظم، وتستند شرعية القانون بالكامل على التهديد باستخدام القوة السلطة بدون قوة لا يمكن أن يستقيم أمرها، ميكيافيللي يستنتج أن العبودية والخوف أفضل من حيث التأثير في الأفراد، كما أن العنف والخداع يتفوقان عن الشرعية في السيطرة عليهم (كتاب الأمير ص62)

فإن نجد مع ميكيافيللي نظرية الالتزام ليست مرتبطة بالقوة، ان اخضاع الناس للخوف وحكمهم على عواقب النسيان.

من هنا نجد أن السلطة لا يمكن تأسيسها وبناءها خارج القوة وميكافيللي يهاجم هذا التصور انطلاقا من ذلك نجد

الأفراد مجبرون على الخضوع للسلطة الدولة وقوانينها، وأن الاكراه هو من يجعل الناس يحترمون السلطات العليا

للدولة بل الناس مجبرون على احترام القوة القاهرة للدولة. ولو كنت لا تريد الخضوع فإن الخوف الذي تخلقه القوة ذلك من يجعلك تنقاد لقوة تلك الدولة. القوة هي من تحسم تنفيذ القرارات على القوة المتعارضة، الحاكم الذي يقدم فقط الحقوق سيموت في وقت من الأوقات وسيصبح ضحية تلك الحقوق، في خضم الصراع السياسي العنيف سينجح أولئك الذين يفضلون القوة على السلطة بدون استثناء، لن يتم القبول بسلطات الدولة وقوانينها دون أن تكون مدعمة بالقوة لجعل الخضوع لها أمرا لا مفر منه وتتنوع طرق تحقيق الخضوع وتعتمد بشكل كبير على البصيرة التي يبديها الأمير وبالتالي الحاكم يحتاج إلى خبرة فائقة في هذا المجال.

ب_ القوة، البراعة، المهارة السياسية:

إن الحكم السياسي علية أن يتخلص من أي تأثير أخلاقي خارجي، وأن الأمير الذي هو بمثابة الحاكم للدولة يمتلك كفاءة وهي معيار القوة لديه، لأنه قبل كل شيء الأمير لابد أن يكون لديه تصرفا وقرارا مرنا فالحاكم المناسب للحكم هو الذي يستطيع تغير الخير إلى الشر والشر إلى الخير، أي يكون قادر على تغيير سلوكه وسلوكيات العامة من الناس، وفي كتابه

فن الحرب يؤكد ميكيافيللي أن البراعة الأساسية للأمير خاصة العسكري أو ما إلى ذلك هو الذي يتكيف مع ميدان المعركة كلما تغير الموقف، وأيضا مجال السياسة هو فضاء للمعركة لا أكثر ولا اقل والحاكم أو الأمير أن يكون سياسي بارع هو عندما يخوض معركة السياسة بقوة، ومن هنا يصل ميكيافيللي إلى أن الأمير مثله مثل العسكري لا بد أن تكون له الكفاءة في الحكم والتسيير أي لابد أن يعرف كل الاستراتيجيات والتكتيكات الملائمة للظروف المختلفة، ومن هنا يكون مفهوم الكفاءة والبراعة والمهارة أيضا متصلا بالقوة، الأمير الكفؤ هو الذي يتقن أيضا استخدام القوة،

لكن هل توجد هناك علاقة بين الممارسة الفعلية للسلطة والمهارة يجب ميكيافيللي أن ذلك يكمن في الحظ ومسألة

الحظ يناقشها بقوة الحظ هو عدو النظام السياسي بل هو تهديد لأمن وسلامة الدولة، يشبهه بالأنهار المدمرة لكل شيء عندما تفيض.

ج_ الأخلاق والدين والسياسة:

يعتبر تدريس كتاب الأمير لدى الكثير من القراء في القرن السادس عشر هو ترويجا ضد الأخلاق، أو على الأقل كتاب يدعوا إلى تنحية الأخلاق خاصة عندما يتكلم ميكيافيللي في مكان الرحمة والعدل والشفقة والفضيلة تحل القوة والسيطرة، الخضوع، العنف...الخ ووصف بأنه رجل لا أخلاقي يعني لا يضع الأخلاق في الاعتبار أو هذا يعتبر حجاج ضد المعايير الأخلاقية، كما وصف أيضا بأنه معلم الشر على أساس أنه ينصح القادة باستخدام القسوة والعنف والخوف والخداع وبالتالي ليس هناك مجال للأخلاق في القرارات التي يتخذها القادة السياسيين. حسب ميكيافيللي الأمير يفعل الخير متى يشاء والشر متى يشاء.

أما الدين لم يكن مكيافيللي صديقا للكنيسة وللدين المسيحي ومؤسساتها يوضح كتابه المقالات أن المسيحية التقليدية تستنزف من البشر الحيوية المطلوبة لممارسة الحياة المدنية وحتى كتاب الأمير يتحدث عن نظرة ازدراء اتجاه حالة الكنيسة والبابا في عصره، والباحثين استلهموا هذه الأفكار واعتبروا ميكيافيللي هو ضد المسيحية. مفضلا عنها الأديان الوثنية القديمة التي كانت في روما تقدم للمجتمعات المدنية. كما أن هناك من يقول توجد أفكار من الكتاب المقدس يدعم بها في فكره خاصة في مسألة الكون التي يرجعها إلى فكرة الألوهية.

يمكن القول في الأخير أن مكيافللي مفكرا وعالما سياسيا لا يقل أهمية خاصة في العصر الحديث وعصر التنوير كونه أثرى الحياة السياسية بالكثير من الأفكار التي على أساسها بنيت الكثير من الدولة وأسست لدساتيرها المستقبلية وسياستها الكلية.

المراجع المعتمدة:

_ مكيافللي، كتاب الأمير.

_ جورج زيناتي، الفلسفة في مسارها.

_ جورج سعد، فرانسوا أوبرال، معجم الفلاسفة الميسر.